رابعا

مفهوم التعلم

* تعريف مفهوم التعلم.
* العوامل التى تؤثر فى عملية التعلم.
* تعريف عملية التعليم.
* العوامل المؤثرة فى فاعلية عمليتى التعليم والتعلم.
* مفهوم التدريس.

رابعاً : مفهوم التعلم Learning، ومفهوم التعليم Instruction، ومفهوم التدريس Teaching :

س : شكراً على هذا التوضيح ... فلقد عرفت الآن مفهوم المنهج الضيق التقليدى وارتباطه بفلسفة التربية التقليدية، ومفهوم المنهج الواسع الحديث وارتباطه بفلسفة التربية الحديثة .. والآن أود أن أستفسر عن مفهوم التعلم ؟

ج : حسناً .. التعلم Learning هو خبرة أساسية من خبرات الحياة، وكل فرد يتعلم منذ وقت ميلاده حتى مماته. ومفهوم التعلم يعنى «تغير البناء الإدراكى للفرد، وزيادة محتواه الكمى والنوعى على ما كان لدى هذا الفرد فى وقت سابق».

س : هل يمكن أن تزيدنى إيضاحاً عن مفهوم التعلم ؟

ج : فى الواقع أن هناك تعريفات كثيرة لعملية التعلم، ولكن يعتبر تعريف جيتس Gates من أفضلها، لأنه يتصف بالشمول. يعرف جيتس عملية التعلم بأنها:

«تغيير أداء الفرد أو تعديل فى سلوكه عن طريق الخبرة والمران، وهذا التعديل يحدث فى أثناء إشباع الحاجات وبلوغ الأهداف بغرض التكيف مع المواقف الجديدة» (١٢ : ١٦).

ويقصد بتعديل السلوك عدم الاقتصار على الحركات الملاحظة والسلوك الظاهرى، وإنما ينصرف التعديل والتغيير أيضا إلى العمليات العقلية مثل التذكر والتفسير والتفكير.

وبالمعنى نفسه يعرف جيلفورد Guilford التعلم بأنه :

«التغير فى سلوك الفرد الناتج عن استثارة».

وطبيعة الاستثارة تمتد من مثيرات فيزيائية بسيطة تستدعى نوعاً من الاستجابات، إلى مواقف أخرى غاية فى التعقيد؛ فتعرض الفرد لتيار الهواء البارد يجعله يتحرك لإغلاق النافذة التى يأتى منها هذا التيار. فهنا تعرّض الفرد لمثير معين فتغيّر سلوكه نتيجة تعرُّضه لهذا المثير. أما عندما يريد الفرد تعلم قيادة السيارة فهذا الموقف يتضمن عدداً من المثيرات المتشابكة التى تستدعى نوعاً جديداً من السلوك لايظهر دفعة واحدة، وإنما يمر بمراحل مختلفة يتحسن فى أثنائها حتى يصل إلى شكله النهائى فى نهاية عملية التعلم (٢ : ١١ ـ ١٢).

س : أرجو يا سيدى أن تزودنى بعدة أمثلة من مواقف الحياة، يتضح منها أن عملية التعلم تعديل أو تغيير فى السلوك يتم نتيجة لمثيرات بسيطة أو معقدة ؟

ج : بكل سرور سأذكر لك عدة مواقف (٢٤ : ١٤) :

موقف (١) : شخص ذاهب إلى عمله فى طريقه المعتاد، فوجئ بحادث فى الطريق، فغيّر طريقه إلى آخر. فالحادث هنا يمثل المثير وتغيير الاتجاه هو الاستجابة. فهذا الشخص قد تعلم أنه عند حدوث حادث فى الطريق عليه ألاّ ينتظر، بل عليه أن يجد طريقاً آخر.

موقف (٢) : تلاميذ أحد الفصول الدراسية بمدرسة سمعوا الجرس النهائى لليوم الدراسى، فجمعوا أدواتهم وهموا بالانصراف إلى منازلهم. فالجرس هنا هو المثير والتأهب للانصراف هو الاستجابة . فهؤلاء التلاميذ قد تعلموا أنه عند سماع الجرس النهائى لليوم الدراسى، عليهم الاستعداد للانصراف إلى منازلهم.

موقف (٣) : جندى مستجد التحق بكتيبة عسكرية من كتائب سلاح الدفاع الجوى، وهذه الكتيبة تستخدم نوعاً من المدافع المضادة للطائرات. وعلى هذا

الجندى أن يتدرب على هذا النوع من المدافع حتى يتقن تعلم كيف يسقط طائرات العدو بهذا المدفع.

يلاحظ فى هذا الموقف أن على هذا الجندى المرور بعدد كبير من المواقف والمثيرات المتشابكة حتى يصل إلى هدفه المنشود. فعليه أن يتعرف أولاً على تركيب أجزاء هذا المدفع، وعلى نظرية تشغيله وعلى نوع الذخيرة التى تعمل مع هذا النوع من المدافع، وعلى كيفية تهيئة المدفع للعمل، وكيفية التصويب الصحيح إلى طائرات العدو المهاجمة. كما أن عليه أن يتدرب على استخدام هذا المدفع تارة بدون ذخيرة، وتارة أخرى باستخدام الذخيرة الحية، وغير ذلك من الخطوات التي تجعل هذا الجندى يمر بمراحل ومواقف مختلفة يستخدم فيها أحياناً قدرته على التذكر وعلى الفهم وعلى التفكير كما يستخدم مهاراته التدريبية حتى يتحسن أداؤه شيئا فشيئا وتتعدل سلوكياته وتتغير رويداً رويداً حتى يصل فى النهاية إلى إتقان تعلم استخدام هذا المدفع فى الدفاع الجوى عن المنطقة التى يوجد بها وتوجد معه كتيبته.

س : شكراً على هذا التوضيح لمفهوم عملية التعلم ... وما أريد أن أعرفه الآن هو .. هل يمكن القول بأن التعلم وظيفة أساسية للإنسان ؟

ج : نعم .. نعم .. فالتعلم يُعدّ وظيفة أساسية للكائن الحى بصفة عامة والإنسان بصفة خاصة لأسباب، أهمها (٢٤ : ١٥ ـ ١٦) :

١ ـ أن التعلم يعنى تعديلاً لسلوك الفرد يساعده فى حل مشكلاته التى تواجهه فى حياته، فيعيش حياة أفضل.

٢ ـ يتعلم الفرد تعديل سلوكه لاكتساب خبرات معرفية تزيد من نموه وفهمه للعالم المحيط به، فيؤدى ذلك إلى زيادة قدرته على السيطرة على البيئة وتسخيرها لخدمته.

٣ ـ يتعلم الفرد كيف يعدل من سلوكه لتحقيق المزيد من التكيف مع بيئته الطبيعية وبيئته الاجتماعية.

٤ ـ يتعلم الفرد ميولاً واتجاهات وقيماً تعينه على أن يعيش سعيداً فى مجتمع له خصائص ثقافية وحضارية ومادية معينة، وهذه الميول والاتجاهات والقيم هى التى تعطى حياته فى هذا المجتمع معنى يستسيغه هو والجماعة.

س : عندما نتحدث عن عملية التعلم التي تحدث فى مدارسنا، ما أهم العوامل التى تؤثر فى تعلم التلاميذ من حيث الكمية والكيفية ؟

ج : ١ ـ **عوامل تخص التلاميذ أنفسهم** : منها على سبيل المثال :

مدى دافعيتهم للتعلم، والقدرات العقلية، والسمات الشخصية، والصحة العامة، والحالة الاجتماعية، والمناخ الأسرى والبيئى الذى يعيشون فيه ويتأثرون به.

٢ ـ **عوامل تخص المعلمين** : مثل :

الكفاءة والخبرات السابقة، والقدرات العقلية والسمات الشخصية، والاستعداد لعملية التعليم، ومدى الاتجاه نحو هذه العملية، والصحة العامة، والحالة والمسئوليات الاجتماعية، والمستوى الاقتصادى والثقافى والمناخ الأسرى والبيئى الذى يعيشون فيه ويتأثرون به، ونوع الإعداد المهنى لهم قبل الدخول فى الخدمة ومستواه، ونوع الفلسفة التربوية التى ينتهجونها، ونوع التدريب المتاح لهم أثناء الخدمة ومستواه.

٣ ـ **عوامل تخص مادة التعلم أو خبرته** : مثل :

مدى ملاءمتها للتلاميذ من حيث اللغة والإدراك والرغبة، وأسلوب صياغتها المنهجية، وتكامل محتواها، وتنوعه من حيث الأهداف والمعلومات والأنشطة الصفية واللاصفية، ومدى اتصال هذه المادة بحياة التلاميذ.

٤ ـ عوامل تخص بيئة التعلم : مثل :

الخصائص الشكلية للغرف الدراسية من ضوء وتهوية وتدفئة وأثاث وتجهيزات أخرى، والأقران وما يتمتعون به من ميول واهتمامات واتجاهات وقيم وخلفيات اجتماعية واقتصادية وثقافية، والمدرسة وما تتصف به من مساحة وإمكانيات. وما تمتلكه من تسهيلات وتجهيزات ووسائل تعليمية، وما تتبناه من فلسفة تربوية، وقوانين تنظيمية، وإدارة، وما يدير دفتها ويقوم بمسئولياتها من عاملين، وما تتضمن من أنشطة فى المجالات المختلفة، وما لديها من أساليب التعزيز.

فإذا ما اتسقت العوامل الأربعة السالفة الذكر وعزز بعضها دور بعض تعزيزاً إيجابياً، تكون النتيجة حدوث تعلم فعّال ومتكامل لدى التلاميذ. أما فى حالة وجود قصور فى بعض هذه العوامل فحينئذ يعترى عملية تعلم التلاميذ كثير من التشويش والارتباك وعدم الفاعلية وهذا يؤدى إلى حدوث تعلم ناقص لدى هؤلاء التلاميذ.

س : هل هناك فرق بين معنى التعليم والتعلم، أو هما مفهومان مترادفان لهما معنى واحد ؟

ج : بالطبع هناك فرق بين عملية التعليم وعملية التعلم، ويلاحظ أن الكثير ـ ومنهم بعض المشتغلين بالعملية التربوية فى المدارس وإدارات التعليم ـ يخلطون بين المفهومين، فالتعليم عندهم هو التعلم، والتعلم هو التعليم. ومن أجل أن نعرف الفرق بين هاتين العمليتين، ينبغى أن نعرف كل عملية تعريفاً محدداً دقيقاً .. أما عملية التعلم Learning فقد تم تعريفها فيما مضى .. وأما عملية التعليم Instruction فيمكن أن نعرفها كما يلى (١٠ : ٢٤٧ ـ ٢٤٨) :

«هى عملية توفير الشروط المادية والنفسية التى تساعد المتعلم على التفاعل النشط مع عناصر البيئة التعليمية فى الموقف التعليمى، واكتساب الخبرات والمعارف والمهارات والاتجاهات والقيم التى يحتاجها هذا المتعلم وتناسبه وذلك بأبسط الطرق الممكنة».

ومعنى هذا أن عملية التعليم هى تلك العملية التى يوجد فيها متعلم فى موقف تعليمى لديه الاستعداد العقلى والاستعداد النفسى لاكتساب خبرات ومعارف ومهارات واتجاهات وقيم تناسب قدراته واستعداداته من خلال وجوده فى بيئة تعليمية تتضمن محتوى تعليمياً ومعلماً ووسائل تعليمية ليحقق بعضها الأهداف التربوية المنشودة.

أما عملية التعلم فمتعلقة بالمتعلم نفسه، وهى ذات علاقة وطيدة بعملية التعليم حيث إنها نتيجة لها. أى إن عملية التعلم هى نتيجة عملية التعليم ومحصلة لها. ونحن نستدل على أن الفرد قد تعلم بعد عملية التعليم من قدرته على القيام بأداء معين لم يكن يستطيع أداءه قبل عملية التعليم (٢٨ : ٥٠).

س : هل يمكن أن أتعرف العوامل المؤثرة فى فاعلية عمليتي التعليم والتعلم ؟

ج : بكل سرور .... الحقيقة أن عملية التعليم والتعلم لاتحدث بمعزل عن عوامل كثيرة أخرى، بل إنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجملة من العوامل تؤثر فى فاعليتها. وقد أوضح كل من كلاوسماير وجودوين Klausmeier and Goodwin [48] أهم العوامل التى تؤثر فى فاعلية عملية التعليم والتعلم، وما يترتب عليها من تحقيق الأهداف التربوية، وقد حددت هذه العوامل بسبعة عوامل رئيسية يمكن إيضاحها فى الشكل (٢) التالى (٤٣ : ٦ ـ ٧) :

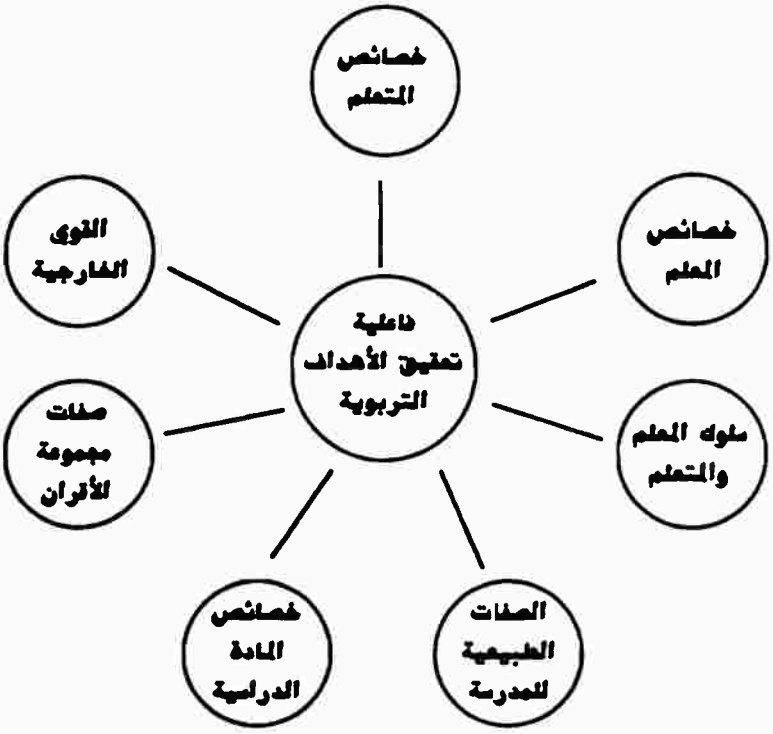

الشكل (٢) أهم العوامل المؤثرة فى فاعلية عملية التعليم والتعلم

١ ـ خصائص المتعلم :

تُعدّ خصائص المتعلم من أهم العوامل التى تقرر فاعلية التعلم، وذلك لأن المتعلمين يختلف بعضهم عن بعض فى مستوى قدراتهم العقلية والحركية وصفاتهم الجسمية، كما يختلفون فى ميولهم واتجاهاتهم وتكامل شخصياتهم.

٢ ـ خصائص المعلم :

لايقتصر تأثير المعلم على شخصية المتعلم، وإنما يتعداه إلى كل ما يتعلمه هذا المتعلم، ويمكن القول بأن فاعلية التعلم تتأثر بدرجة كفاءة وذكاء وقيم واتجاهات وميول وشخصية المعلم.

٣ـ سلوك المعلم والمتعلم :

من الواضح أن هناك تفاعلا مستمرا بين سلوك المعلم وسلوك المتعلم. هذا التفاعل يؤثر فى نتاج عملية التعلم. ويمكن التأكيد على أن شخصية المعلم الواعى الذكى ترتبط بطرق تدريس فعالة قائمة على أساس هذا التفاعل.

٤ـ الصفات الطبيعية للمدرسة :

ترتبط فاعلية التعلم بمدى توافر التجهيزات والوسائل التعليمية الضرورية المتعلقة بمادة التعلم. فمثلا؛ اكتساب مهارات الألعاب الرياضية المختلفة لايتم إلا من خلال ملاعب رياضية، وتكون درجة فاعلية تعلم اللغة الأجنبية أفضل فى المدارس التى يتوافر فيها مختبر اللغة، وهكذا ...

٥ـ خصائص المادة الدراسية :

يميل بعض التلاميذ بطبيعتهم إلى مواد دراسية معينة، وينفرون من مواد دراسية أخرى. ومن هنا نرى أن تحصيل المتعلم الواحد يختلف فى المواد الدراسية المختلفة. فكل مادة دراسية لها طبيعتها التى تجذب إليها بعض التلاميذ، إلا أن التنظيم الجيد والعرض الواضح يزيد من فاعلية التعلم.

٦ـ صفات مجموعة الأقران :

يتألف الفصل المدرسى من مجموعة من الأفراد يختلفون فى قدراتهم العقلية وقدراتهم الحركية وصفاتهم الجسمية وفى ميولهم واتجاهاتهم. ويختلفون أيضا فى خبراتهم السابقة بسبب انتمائهم إلى طبقات اجتماعية واقتصادية مختلفة، وبطبيعة الحال تتأثر فاعلية التعليم والتعلم بالتركيبة الاجتماعية التى يتكون منها الفصل المدرسى، كما تتأثر بمدى التباين أو التجانس فى التركيبة الاجتماعية للمدرسة.

٧ـ القوى الخارجية التى تؤثر فى فاعلية التعلم :

يقصد بالقوى الخارجية العوامل التى تؤثر فى موقف المتعلم تجاه التعليم المدرسى. فالأسرة والجيران والبيئة الثقافية التى يعيش فيها المتعلم تعدّ من العوامل

المهمة التى تحدد صفات المتعلم الشخصية ونمط سلوكه داخل حجرة الدراسة. لذلك فإن لها دوراً مهما فى تحديد فاعلية عملية التعليم والتعلم.

س : شكراً لهذا التوضيح ... والآن أريد أن أعرف هل هناك فرق بين عملية التعليم وعملية التدريس ؟

ج : حسناً ... فى الواقع تناولنا ماهية التعليم **Instruction** التى هى تهيئة مادية ونفسية تساعد المتعلم فى التفاعل النشط مع عناصر الموقف التعليمى لاكتساب الخبرات المختلفة. وأحيانا تتم هذه العملية بدون معلم.

أما التدريس Teaching فيمكن أن يعرف إجرائيا كما يلى (٣٢ : ٩١) :

«هو نظام من الأعمال مخطط له يقصد به أن يؤدى إلى تعلم ونمو التلاميذ فى جوانبهم المختلفة، وهذا النظام يشتمل على مجموعة من الأنشطة الهادفة يقوم بها كل من المعلم والمتعلم، ويتضمن هذا النظام عناصر ثلاثة : معلماً ومتعلماً ومنهجاً دراسياً، وهذه العناصر ذات خاصية دينامية، كما أنه يتضمن نشاطا لغوياً هو وسيلة اتصال أساسية بجانب وسائل الاتصال الصامتة، والغاية من هذا النظام إكساب التلاميذ المعارف والمهارات والقيم والاتجاهات والميول المناسبة».

س : هل لابد لحدوث عملية التعلم من وجود المتعلم فى بيئة تعليمية تتضمن محتوى تعليمياً لمنهج ومعلما ووسائل تعليمية وغير ذلك من عناصر هذه البيئة التعليمية ؟

ج : ما أشرت إليه هو عملية تعليمية مقصودة، تتم غالباً فى المدارس، أو تتم بتعليم الفرد نفسه ذاتياً، ولكن قد تتم بعض العمليات التعليمية بطريقة غير مقصودة أحياناً، كما يحدث فى مواقف الحياة التى تمر بالمتعلم بطريقة عفوية فيكتسب الخبرات من خلالها.

س : عفواً .. إعطنى مثالاً عن عملية تعليم تتم بطريقة غير مقصودة من مواقف الحياة ؟

ج : بالطبع نعم ... فقد تكون عملية التعلم قائمة؛ المعلم مع تلاميذه داخل الفصل يشرح، ويناقش، ويرشد، ويستخدم الوسائل التعليمية المختلفة فى تعليمهم المعلومات والمهارات وتنمية الميول والاهتمامات والاتجاهات والقيم، ومع ذلك ربما لايكتسب بعض التلاميذ شيئا من هذا كله، ويرجع ذلك لعدة أسباب أهمها :

١ ـ انشغال أذهان هؤلاء التلاميذ بأمور نفسية أو اجتماعية.

٢ ـ عجز المعلم عن أن يثير انتباههم أو دافعيتهم للتعلم لضعف كفاءته أو ضعف شخصيته.

٣ ـ ضعف الخلفية العلمية لهؤلاء التلاميذ بحيث لم يستطيعوا اكتساب الجديد من المعلومات أو المهارات.

٤ ـ عدم توافر بعض الظروف الفيزيقية المناسبة داخل الفصل مثل :

الإضاءة الجيدة ـ التهوية الجيدة ـ المقاعد المريحة وغيرها.

فنجد أن المعلم بدأ درسه وانتهى منه وهؤلاء التلاميذ لم يستفيدوا أو يكتسبوا شيئاً، برغم أن الآخرين اكتسبوا واستفادوا وتعلموا.

مما سبق يتبين أنه يمكن أن تحدث عملية التعليم ولكن عملية التعلم لم تحدث لبعض التلاميذ، أو حدثت لهم ولكن بصورة ضعيفة لا تتناسب مع الجهد والوقت والنفقات. وهذه المشكلة واضحة فى مدارسنا على مستوى مجتمعنا العربى؛ فالجهود المبذولة فى مجال التعليم كبيرة، والوقت المخصص له طويل، والنفقات باهظة، ولكن تأتى النتائج هزيلة؛ فغالباً يتركز التعلم على حفظ مجموعة من المعارف والمعلومات بهدف اجتياز الامتحانات ثم سرعان ما تنطفئ وتنسى بعد هذا الاجتياز، ويهمل تدريب الجوانب الأخرى من شخصية التلاميذ.

س : هل يمكن أن تحدث عملية التعلم بدون حدوث عملية التعليم ؟

ج : بالطبع لا .. فإنه إذا حدثت عملية تعلم للفرد، فهذا يعنى حدوث عملية نمو فى معارفه أو مهاراته أو قدراته أو اهتماماته أو اتجاهاته أو قيمه. وهذا النمو مرتبط بحدوث عملية تعليم سواء أكانت مقصودة، قصد إليها معلم أو قصد إليها الفرد نفسه، أو غير مقصودة، فى مواقف الحياة المتنوعة. فعملية التعلم مرتبطة بعملية التعليم لأنها ثمرة لها ونتيجة.